نفسية المرأة الحديثة

مقتبس من آراء العلامة « بونج »

للدكتور محمد حسني ولاية

لا شيء يضر طبيعة المرأة نفسياً أكثر من قيامها بأعمال الرجال . ولما كانت طبيعة الإنسان مشتملة على عنصري الأنوثة والذكورة معاً ، فإن الرجل يستطيع أن يعيش بالمرأة التي في نفسه، كما أن المرأة بدورها تستطيع أن تحيا بالرجل الكائن في طبيعتها، وفي ذلك ما يفيد ذاتية الشخص الأساسية ويقضي عليها . فلا بد للرجل من أن يعيش كرجل ، ولا بد للمرأة من أن تعيش كامرأة

إن تصرفات المرأة وانفعالاتها لا تتأتى من عقلها الباطن مباشرة ، بل هي من خصائص طبيعتها الأنثوية ، فليست انفعالاتها ساذجة ، ولكنها ترمي إلى غرض لا تصرح به .

إن ما يصدر من الآراء عن عقل المرأة الباطن يسير بها في طريق شاذة ، فهذه الآراء تنتحل صفة الصدق والواقعية ما دامت لم توضع رهن الانتقاد الواعي . وهي تشبه تصرفات الرجل في غموضها إلى حد ما ، كما أنها تشبهها في عدم وصولها إلى العقل الواعي غالباً ، وعلى ذلك يتعذر أن ندرك ألوانها على حقيقتها

إن الافتراضات والأفكار المنتمية إلى العقل الباطن لهي ألد عدو للمرأة ، وذلك لأنها قد تنمو وتكبر في شكل هوى شيطاني يستقبح الرجال ويخنق جاذبية المرأة وأنوثتها ، وينتهي مثل هذا الاتجاه إلى انفصام عميق في الذاتية أو بعبارة أخرى إلى عصبية . على أنه ليس من الضروري أن يصل الأمر إلى هذه الخاتمة ، لأن تلوين عقلية المرأة بالذكورة يؤدي في حد ذاته إلى نتائج سيئة غير العصبية . فقد تكون مثل هذه المرأة زميلة طيبة للرجل ولكنها لن تشق طريقها إلى مشاعره وعواطفه ، وهذا من قبيل تفاعل دفاعي ضد طابع الجنسية الذكرية .

إن كل ما حرم على المرأة في العصور الخالية قد تجمع الآن وتمخض عن حدوث عمليات تعويض نفسي ، ورسل هذه العمليات هن كائنات السر والمخترلات والمشتغلات بالأزياء ، وهن اللاتي يقوضن أركان الزواج باتباعهن ملايين من الطرق الخفية ، وليست رغبة أولئك النساء موجهة إلى مناصبة العلاقات الجنسية والمجازفات الغرامية العداء ، بل محاربة الزواج هي غايتهن ، فهن يرمين إلى مطاردة المرأة المتزوجة ، ولكن بوسائل غامضة هادئة عنيدة تعمل كالسحر مثل عين الثعبان الجامدة

فما هو موقف المرأة المتزوجة من هذا ؟... لا ريب في أنها تتعلق بالفكرة القديمة التي تلقي اللوم على عاتق الرجل والتي تتضمن استطاعة الإنسان أن يصنع الحب بمحض اختياره ، وأنها على أساس هذه التصورات الجامدة تنطوي على نفسها في جو من الثيرة . على أن هناك أثراً أعمق من هذا ، فما من امرأة تستطيع

قصة الغريب

هي قصة أوحت ما أوحت إلى الآداب العربية والآداب الإنجليزية ، فكيف كان ذلك ؟

الطلبة هم المسئولون عن مراجعة هذا الفصل النفيس ، وعما كتب المؤلف في الاستشهاد بآيات التوراة لتبرير ما جاء فيه من تكرير وترجيع

رسائل مصرية وفلسطينية وسورية

هو بحث شائق لا يحتاج إلى من يدلّ عليه ، وهو يشرح وسائل قدماء المصريين في تسجيل الرسائل واللوائح والقوانين

الصور ، الصور ، الصور

بهذا الكتاب صور فنية نُقلتْ عن المعابد والهياكل والقبور ، وهي تحتاج إلى درس خاص ، فهل ينظر إليها الطلبة نظرة فحص وتأمل وتدقيق ؟

لو كنت أملك الوقت لكتبت عن هذه الصور صفحة أو صفحتين أو صفحات ، فهي أروع ما حُفِظ من آثار القدماء ، ولو كنت أملك المال لدعوت جميع طلبة السنة التوجيهية إلى رحلة فنية نتعرف بها إلى آثار مصر في الشمال والجنوب

فلم يبق إلا أن أوجه أنظارهم إلى أن هذه الصور ستكون حتماً مما تفكر فيه لجنة الامتحان ، فقد سمعت أن في أساتذة الجامعة المصرية قوماً يهتمون بالفنون !

ثم أكتفي بهذا القدر في توجيه الطلبة إلى فهم كتاب « على هامش التاريخ المصري القديم »

زكي مبارك

أن تتفادى أثر الحافز الذى يعمل فى الخفاء فى ذلك الجو الذى ربما غمرتها به ... أختها مثلاً ... ذلك الجو القاسى الذى لم تعش فيه بعد . وحينئذ يستبد بالمرأة المتزوجة ريب فى أمر الزواج

إن إمكان منع الحمل قد مهد السبيل المرأة غير المتزوجة لأن تحيا حياة تشبه الزواج ، بل هو قد أصبح ذا أهمية للنساء المتزوجات . ولكن التخلص من حوافز نفسية عظيمة متعلقة بإنجاب الأطفال يؤدى إلى حدوث اضطراب فى التوازن العقلى ؛ فالطاقة التى لا تجد هدفاً واعياً تقوى العقل الباطن وتسبب الشك وعدم الاطمئنان

ينطوى الزواج فى عرف المرأة على علاقة مطلقة لا تربطها بالزوج فحسب ، بل بالأطفال والأقارب ، فإذا كان الرجل مستحوذاً على المرأة ضاق بهذا الإطلاق ذرعاً لأنه يجدها موزعة بين أطفالها والأقارب وبين نفسه . ولما كان أكثر الرجال عمياً فى غرامهم بزوجاتهم فإنهم يعتقدون أنهم ملكوا نواصى زوجاتهم واستحوذوا عليهن كلية

وترى المرأة أن الزواج علاقة روحية ، وأن المسألة الجنسية ليست سوى عامل ثانوى مرتبط بالزواج

وكما ابتدأت المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر تنحاز إلى الذكورة فقد انحاز الرجل بدوره فى شىء من التردد إلى الأنوثة

المرأة أغنى نفسية من الرجل، فهو يقتنع فى أكثر نزعاته بالمنطق فقط، ويعاف ما ينضوى نفسياً تحت لواء العقل الباطن لأنه لا يعبأ إلا بالواقع ، ولا يعنى بالبدوات والمشاعر التى لا تنطبق على الواقع .

أما بالنسبة للمرأة فإن أكثر ما يهمها معرفته ماهية شعور الرجل إزاء أمر أكثر من فهمها الأمر نفسه . وكل ما يعده الرجل سفاسف وترهات ينال اهتماماً خاصاً من ناحية المرأة ، وإن كثيراً مما يمكن رؤيته بوضوح فى المرأة لا يمثل فى الرجل إلا عملية ضئيلة غامضة لا يرغب غالباً فى أن يعبر عنها

حملت الظروف المرأة على أن تتحكم فى شىء من الذكورة ، وهذا هو الشىء الوحيد الذى ينقذها من البقاء فى أنوثة عتيقة غريزية . أما الرجل فيضطر لأن ينشىء فى نفسه بعض صفات أنثوية . وهذا واجب عليه نحو نفسه لا قبل له بأن يتفاداه ما لم يفضل أن يتعثر خلف المرأة فى شكل طفل بائس لأنه مستهدف لخطر سيطرة المرأة عليه

يرى رجل اليوم أن الزواج الحديث حافل بالمشاكل وترى المرأة الحديثة أن زواج القرون الوسطى لم يعد زواجاً مثالياً ، فالذكورة التى اكتسبتها المرأة تجعلها ترفض أن تقول : « إنه سيكون سيدى » فالذكورة تعنى أنها تعرف هدفها فهى تعمل كل ما هو ضرورى لإصابته

واكتسب الرجل بدوره أنوثة فى نفسه بعد بذل مجهود ليس بالقليل وعلى حساب كثير من الألم الذى عاناه . وهو لن يفرط فيما اكتسب لاقتناعه بأهميته

إذا نظرنا عن بعد إلى الرجل الحديث والمرأة الحديثة تبادر إلى ذهننا أنهما لا شك ناجحان فى زواجهما، ولكننا إذا رأيناهما عن كثب بدا لنا الأمر على النقيض لأن زواجهما إنما ينطوى على كفاح جديد ، فكل ما تريد أن تفعله المرأة كصدى لإرادة وعيها الحديث النشأة لإيلام الرجل، كما أن المشاعر التى يستكشفها الرجل فى نفسه ليست مناسبة للمرأة، فهما يريان أن ما استكشفاه فى نفسيهما حديثاً يمثل الجانب الوضيع من كل منهما ؛ ذلك لأن ذكورة المرأة لا تقل ضمة عن أنوثة الرجل . ولكننا من ناحية أخرى نرى أن فى المجموعة التى نسميها « الشخصية » ناحية غامضة ، فلا بد أن يكون الرجل القوى ضعيفاً من جانب ما وأن يكون الرجل الذكى غبياً من ناحية ما حتى يمكن للمرأة أن تميرهما الثقة ، فالمرأة تحب ضعف الرجل القوى أكثر من قوته، وغباوة الرجل الذكى أكثر من ذكائه

إن حب المرأة يلتمس الرجل كله كوحدة ... ليس الجانب الذكرى منه فحسب بل ذلك الشىء الذى ينافى الذكورة فيه أيضاً . وليس حب المرأة بعاطفة مجردة بل هو رغبة حيوية تخلو أحياناً من العاطفة، وقد تدفع المرأة أحياناً إلى التضحية بنفسها . والرجل الذى تغمره المرأة بمثل هذا الحب لا يستطيع أن يتجاهل الشطر الوضيع من نفسه إذ ليس فى مقدوره أن يواجه المرأة إلا به وأن يكون مغموساً فى قرارة نفسه

وليست قرارة الإنسان متشابهة فحسب بل هى متكافئة مع طبيعة الإنسان الأبدية التى تربط كل الإنسانية التى تمثلها صورة الحياة البشرية فى أعاليها وأعماقها المشتركة بيننا جميعاً ، فنحن لن نكون أشخاصاً مختلفين فى قرارة نفوسنا بل تدرك الروابط المشتركة التى تربط الإنسانية جمعاء . وفى هذه الأعماق نطرح

الفوارق الاجتماعية السطحية من شخصياتنا . ونصل إلى أساس المشاكل التى تعرض لنا فى حياة اليوم . وهـذه المشاكل تمثل الحقيقة الواقعة ، لأننى هنا أشعر وأعرف أنى واحد من كثيرين وأن ما يحدونى يحدو الكثيرين . إننا فى ناحية قوتنا مستقلين ومنفردين بحيث يمكننا تشكيل مصيرنا بما نريد ، ولـكننا فى ناحية ضعفنا بعضنا معتمد على البعض الآخر ومرتبط به ، وهنا يمثل كل منا آلة فى يد القضاء ، فليس الفرد هنا هو الذى يحكم بل هى الإرادة البشرية

ينطوى معنى الحياة الحقيقى على اكتساب الشخص قوة التغلب على العزلة الشخصية والابتعاد عن الأنانية فى سبيل اشتراك فعّال فى حل المعضلات الحديثة

فإذا أرخت امرأة اليوم تماسك الزواج واعية أو غير واعية ومستقلة استقلالاً روحياً أو اقتصادياً فإن هذا لا يأتى بدافع الرغبة الشخصية ولـكن بدافع الرغبة الحيوية ذات القوة المسيطرة المستقرة فى أعماق البشر التى تتخذ من المرأة الفردية آلة لها

يمثل الزواج قيمة اجتماعية أدبية لا نزاع فيها، وليس الخطأ من هذه القيمة إلا من قبيل الفوضى . إن عدم تكامل الإنسانية ليس إلا نشوزاً يقطع انسجام نغمات مثلنا ، ومن سوء الحظ أننا لا نعيش فى الدنيا التى نريدها بل فى دنيا الواقع حيث يتناحر الطيب والخبيث ويهدم أحدهما الآخر ، وحيث لا تستطيع الأيدى البيضاء التى خلقت للابتكار والإنشاء تفادى التلوث بالدنس ... وكلما استجد شىء عرضة للنقد ومحط الريبة فهناك دائماً من يؤكد لنا وسط عاصفة من التصفيق أن لا شىء حدث وأن كل شىء يسير فى نظام

وإذا انفتت أبصارنا إلى كثير من الزيجات ألفينا بها كثيراً من أعراض ضعف خفى يتمخض عن مشاكل زوجية تشمل كل تصرفات الزوجة (والزوجة فقط) التى لا يمكن احتمالها كالعصبية والخيانة الزوجية

إن أولئك الذين يرون أنفسهم غير مضطرين إلى مجاراة ميول العهد الحديث يعتقدون فى مثال الزوجية ويعتنقونه، وعند ما يتهدم مثال الإنسان دون أن يحل محله شىء أفضل منه فإن الخسارة لا تعوض ، ولذا تظل المرأة مترددة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة فهى لا تجسر على العصيان بكل قلبها وإنما تظل فى حيرة

لقد أصبح الزواج أحسن حل وكل من لم يدخل فى حظيرته عليه أن ينحنى على أخطائه

لم يعد الزواج سهلاً بالنسبة للمرأة الحديثة . وما دامت هناك فقرات قانونية تشرح ماهية الخيانة الزوجية فإن المرأة لا بد أن تظل متخبطة فى شباك الشك

ويصح أن نتساءل « هل تعرف الفقرات التشريعية ما هى الخيانة الزوجية ... وهل تعريفها لها هو الشكل النهائى الأبدى الصادق ؟ » فمن الناحية النفسية — وهى الناحية التى تعنى المرأة — ترى فى هـذه الفقرات تشكيلة هازلة كما هو الحال فى كل ما يصطنعه الرجل لوضع قوانين تتعلق بمسائل الحب

وكثيراً ما يتعدى المؤمنون بالقانون حدود قوانينهم بما اتسموا به من غباوة ، أو بالخنوع لإغراء المرأة أو لمجرد الرذيلة المختلطة بنفوسهم . وإن المرأة الحديثة لتتساءل عما إذا كانت تنتمى إلى هذه الفصيلة ... أما من الناحية التقليدية فهى بلا ريب منتمية إليها . وعليها أن تفكر فى ذلك لاستجلاء الحقيقة حتى تهدم أصنام الاحترام التى نصبت فى نفسها

فما معنى أن يكون الإنسان محترماً ... أمعنى هذا أن يلبس قناعاً مثالياً يستر به حقيقته عن الناس ... أمعناه أن يكون خادعاً ... إن الطيبة ليست خدعة، ولكن عند ما يحبس الاحترام الروح ... تلك الروح الحقيقية المقدسة لا يصبح الإنسان إلا ذلك الشىء الذى وصفه المسيح بأنه « القبر الأبيض »

لقد أصبحت المرأة الحديثة على بينة من الحقيقة التى لا نزاع فيها ... إنها تستطيع أن تبلغ الأسمى والأحسن فى مجال الحب فقط ؛ وإن هذه المعرفة تحدوها الوصول إلى نتيجة أخرى هى أن الحب أبعد وأسمى من القانون . وإن احترامها الشخصى ليضيق حينئذ بنفسه ذرعاً . ولـكن هناك ميلاً غريزياً يوفق بين تفاعلها والرأى العام وهذا أهون الشرين . أما أهول الشرين فهو أن يسرى هذا الرأى أيضاً فى دمها . وهو يبدو لها كصوت داخلى يهمهم الضمير وكقوة كامنة تقفها عند حدها

إنها لم تكن قط واعية للحقيقة المنطوية . على أن أعمق ما تملكه فى ذاتها يمكن أن يجعلها تصطدم بالتاريخ ؛ ولا ريب فى أن هذا الاصطدام يبدو لها مستهجناً وغير منتظر . ولـكن أين هى التى فهمت واستوعبت جيداً هذا التاريخ كحقيقة واقعة

فليس هذا موجوداً فى المجلات الضخمة ولـكنه يعيش فى الدماء

وما دامت المرأة تحيا حياة الماضى فهى لن تصطدم بالتاريخ ولـكن يندر أن تنحرف المرأة عن ميل ثقافى سيطر على التاريخ . والآن نرى أن ترددها أصبح مفهوماً لأنها إذا خضعت لقانون الحب وقعت فى هاوية الألم والشك والحيرة ، وتدثرت بين عاملين كبيرين : الجمود التاريخى والقوة الإلهية المبتدعة

فى النهاية لا تجد حلاً سوى أن تنبذ الجمود التاريخي ، وحينئذ يتعين عليها أن تبتدع لنفسها تاريخاً جديداً أو أن تتعلق بالتاريخ وتخضع له . ولـكنها لا تستطيع أن تبتدع تاريخاً حديثاً ما لم تجرؤ على المخاطرة بكل شىء لتحقيق غرضها ولو ضحت بنفسها ، لأن موضوع التجربة هو ذاتها التى تنتهى بها إلى نهاية مريرة . وهى عند هذا الحد لا ترى حياتها خلفاً لسلف بل تبدأ حياتها هنا . وهذا بمثابة تعبير ثقافى موروث يرمى إلى إيجاد شكل إنسانى أتم ، وإلى إيجاد معنى للحياة ، وإلى نبذ انتماء الإنسان ناحية واحدة من الحياة ، وإلى تطليق حياة غريزية محضة

إن المرأة تعى الآن أن الحب وحده هو الذى يمنحها قوامها ، وأن الرجل الآن يستطيع أن يدرك أن الروح فقط هى التى تمنح حياته أسمى معانيها . وكل من المرأة والرجل يسعى إلى علاقة نفسية تربطه بالجنس الآخر ، فالحب فى حاجة إلى الروح والروح فى حاجة إلى الحب

إنها تشعر الآن بأنه لم يعد فى الزواج طمأنينة ولا استقرار حقيقى ؛ فأى معنى سام يحمله إخلاصها إذا كانت تشعر بأنها مكبلة بأغلال الشهوة التى ترمى إلى اقتنائها اقتناء قانونياً يحبس روحها . هناك إخلاص أهم من هذا يلوح لها ، إخلاص للروح والحب ، إخلاص يقوى على غزو الضعف الإنسانى وعدم نضوجه ليقضى عليه . وربما تستطيع الوقوف على أن ما هو ضعيف وغير ناضج ليس إلا فوضى مؤلمة أو طريقاً محفوفاً بالقلق ، وأنه يستطاع تفسير ما استكشفته تفسيراً مزدوجاً تبعاً لطبيعته الشكوك فيها

وهناك فى هذه التطورات طريق يؤدى إلى الإنسانية العتيقة التى تهوى إلى مستنقع العقل الباطن ، طريق تؤدى إلى هدم الشخصية والقضاء عليها

إن الإنسان الذى يستطيع أن يحتفظ بما اكتسبه هو الذى يستطيع أن يختبر لأول مرة معنى الذات ، وحينئذ يستطيع أن يغوص فى نفسه حتى يبلغ الإنسان الفطرى المستقر فيه

فكيف يستطيع أن يحرر الإنسان نفسه من ذلك الإنسان الفطرى المتغلغل فى أعماقه ... كيف يستطيع أن يقيم قنطرة تربط ذاته بالإنسان الناضج ؟

كلما أنكر الإنسان ذاته واكتسب الفضائل العليا ، كان بعيداً عن ذلك الإنسان الفطرى

إن كلمة الإنسان ذات الرنين الجميل لا تعنى فى أساسها شيئاً جميلاً أو فاضلاً أو ذكياً ولـكنها تعنى دركات منحطة من هـذه الصفات . إن الـكفاح والخوف الذى يراودنا عند ما نحاول الانفصال عن الإنسان الفطرى يبين لنا أن قوة جاذبية عالمنا السفلى (أى العقل الباطن) ما زالت هائلة ، هـذه القوة التى لا يمكن إنكارها ، وإذا أنكرناها فإن هذا لا يعنى الخلاص منها

لا يستطيع أحد أن يبدأ حياته بالحاضر ولـكنه ينمو إليه رويداً رويداً ، ومن لم يكن له ماض فليس له حاضر . فالإنسان الصغير لا يقوى على ابتكار الثقافات ، فهو لا يملك شيئاً من المعرفة سوى أنه موجود ، وإن العمر الناضج الذى عبر منتصف الحياة هو الذى يخلق الثقافات

مزقت بربرية الحرب الجهنمية روح أوربا — وفى الوقت الذى تكلف فيه أيدى الرجال على إصلاح الخراب الخارجى تبدأ المرأة بدافع من سريرتها العمل على التئام جروح البشر الداخلية بتأسيس العلاقات النفسانية البشرية على أساس وطيد ، ولا شىء يحول بينها وبين تحقيق أهدافها أكثر من الزواج التقليدى ... زواج العصور الوسطى ... ولن تتأسس تلك العلاقات على أساس عرق ما لم تتعطر بشذى الحرية

المرأة الحديثة فى حاجة إلى وعى أوسع مدى حتى تتعرف هدفها وحتى لا تكون آلة الطبيعة العمياء . إن وسيلة المرأة هى وسيلة الطبيعة التى تعمل بطرق غير مباشرة بدون أن ترمى إلى هدف ظاهرى ، وأن يكون الهدف موروثاً فى سريرتها . على أن هذه الطرق الملتوية التى تنتهجها المرأة خطرة ، فبينما تحاول أن تصل بها إلى أهدافها

إن على عاتق المرأة واجباً ثقافياً كبيراً ربما كان مستهل عصر جديد

محمد مصطفى رمضان